الخطبة الرابعة عشرة

الإنفاق مصداق الإيمان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

من شروط لا إله إلا الله محمد رسول الله التصديق واليقين المنافي للشك، وباعتقادي أن هذه النقطة هي النقطة المفصلية في قضية إيماننا: هل أنا مؤمن حقـًا؟ هل أنا موقن حقـًا؟ هل أنا مُصدّق حقـًا بما قال الله تعالى وبما قاله رسوله الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: 49/ 15].

إنما: في اللغة: أداة قصر، أي: أن المؤمنون حقـًا هم هؤلاء، وصفتهم أنهم: 1 – آمنوا بالله حقـًا بدون شك أو ارتياب، لأن الشك في الله وفي رسوله كفر، إن الدين كله يقيني، 2 – (وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ) لماذا جاهدوا بأموالهم وأنفسهم؟ لأنهم مؤمنون حقـًا بوعود الله سبحانه وبوعود رسوله، وما هي وعود الله سبحانه؟ قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: 34/ 39]، وقوله عليه الصلاة والسلام: «سبق درهم مئة ألف درهم» ابن حبان صحيح.

فدرهم الفقير والمحتاج أعظم عند الله من درهم الغني، وهذا يعني أن الناس كلهم يتصدقون فقيرهم وغنيهم، ولما قال عليه الصلاة والسلام: «سبق درهم ألف درهم»، قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ فقال: «رجل له درهمان فتصدق بأحدهما ورجل تصدق بمئة ألف من عُرضِ ماله» رواه النسائي - صحيح، (عُرضِ ماله) أي: إن هذا قليل بالنسبة لما له من مال.

فرجل معه درهمان لا غير، فقير أم غني؟ إنه فقير ومع هذا تصدق بنصف ماله.

أعود فأقول: هل أنا مُصَدّق مُؤْمن بكلام الله تعالى وبكلام رسوله ﷺ؟ اسأل نفسك وانتبه إلى نهاية الآية حيث قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ أي: الصادق في ادعائه هو الذي يطابق قوله فعله وإلا...

ولما قال الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: 29/ 2 - 3].

لذلك لا بد من البرهان على صدقك ويقينك، فمجاهدتك بالمال تعني أنك مؤمن إيمانًا يقينيًا وأنت صادق في ادعائك هذا، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام: «والصدقة برهان» رواه مسلم.

ولما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: 21/ 35]، الشر هو الفقر والمرض والمصائب، والخير هو المال والصحة والسلامة، والفتنة هي الاختبار، هل صبرتم على الشر لأنه امتحان من الله؟ هل استرجعتم؟ أي: هل قلتم: (إنا لله وإنا إليه راجعون)؟ هل سلمتم أمركم لله والتجأتم إليه وتضرعتم؟ أم أنكم سخطتم واعترضتم وقد قلتم - والعياذ بالله - : ما قد يخرجكم من الملّة؟ لذلك هي اختبار، وكذلك الغنى والصحة والسلامة هي اختبار، هل أديت زكاة مالك؟ هل تصدقت شكراً لله على ما آتاك؟ هل استطعت أن تتغلب على شهوة

المال وشهوة الحرص وشهوة الزيادة؟ هل انتصرت على نفسك الأمارة بالسوء؟ إذا فعلت كل هذا فقد نجحت في الاختبار.

وقد قال بعض أهل العلم: إن وعود الله في القرآن الكريم كثيرة، منها: قول الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 14/ 7]، وشكر النعمة: 1 – بالحصول عليها من طريق الحلال، 2 – إنفاقها في الحلال، 3 – الإيمان بأن الله يسرها لك وهذا من فضله وكرمه، 4 – إخراج حق الفقير منها، 5 – صلة الرحم بها، 6 – شكر الله على توفيقه في الحصول عليها وفي الإنفاق منها، 7 – التضرع إلى الله تعالى بأن يتقبل منك ويزيدك من فضله، وتذكر قصة الأبرص والأقرع والأعمى التي رواها أبو هريرة عن النبي ﷺ كما جاء في البخاري ومسلم.

«إن ثلاثة نفر في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى، أراد الله سبحانه أن يبتليهم فبعث إليهم مَلَكًا، فأتى الأبرص فقال: أي شئ أحب إليك؟ قال: لون حسن وجلد حسن، قد قذرني الناس، فمسحه فذهب ما به من البرص وأُعطيَ لونـًا حسنـًا وجلداً حسنـًا، فقال: وأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل فأُعطي ناقة عشراء، فقال: يبارك لك فيها! وأتى الأقرع فقال: أي شئ أحب إليك؟ فقال: شعر حسن فيذهب هذا عني، قد قذرني الناس، فمسحه فذهب ما به من قرع، وأُعطي شعراً حسنـًا، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطاه بقرة حاملاً، وقال: يبارك لك فيها! وأتى الأعمى فقال: أي شئ أحب إليك؟ قال: يرد الله إليَّ بصري فأبصر به الناس، فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأعطاه شاةً والداً، فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين تقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال، بعيراً أتبلغ عليه في سفري! فقال له: إن الحقوق

كثيرة، فقال له: كأني أعرفك، ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيراً فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثت لكابر عن كابر، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت إليه! وأتى الأقرع في صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا، فقال: إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت إليه! وأتى الأعمى في صورته وهيئته فقال: رجل مسكين وابن السبيل وتقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في سفري! فقال: قد كنت أعمى فرد الله بصري، وفقيراً فأغناني الله، فخذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله! فقال: «أمسك مالك فإنما ابتليتم، فقد رضى الله عنك وسخط عن صاحبيك» (ق عن أبي هريرة).

فهل تريد أن تكون مثل الأبرص أو الأقرع أو أن تكون مثل الأعمى؟ اعترفَ بنعمة الله عليه، واعترف بفضله، وتصدّق وقال: خذ ما شئت فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله – لم لا نكون مثل هذا حتى نكسب تلك الشهادة من الله تعالى – أمسك مالك فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك وسخط عن صاحبيك، أيُّ الرجال الثلاثة تريد أن تكون؟

وروى البخاري رحمه الله عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قوله: (ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان)، 1 – الإنصاف من نفسك، 2 – وبذل السلام للعالم، 3 – والإنفاق من الإقتار ... أنفق ولم يكن في يدك فائض، أنفق اكسب دعوة المَلَك، أنفق وبرهن على إيمانك وثقتك بالله، أنفق حتى يُزَكّي الله مالك ويُبَارك لك فيه، قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جاره فقال : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما عمل، ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه في الحق فقال رجل : ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل ما يعمل» (حم – خ عن أبي هريرة).

ألم يؤتك الله مالاً؟ ألم يُوسّع عليك؟ إذاً لماذا تقف مكتوف الأيدي وتتمنى الملايين، والله لم يطلب منك ملايين؟ إن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، أخلص النية، وثق بالله، وادفع الذي هو باستطاعتك وتغلب على الشيطان الذي يخوفك من الفقر قال تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: 2/ 268].

وعد الله سبحانه وتعالى المؤمنين بوعود كثيرة، وكلمة (وعد) تكررت في القرآن الكريم عشر مرات، ولكن أول مرة وردت في القرآن قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 4/ 95].

وجاء الوعد بالحسنى للمجاهدين بأموالهم وأنفسهم، فهنيئاً لمن يصيبه ويشمله وعد الله سبحانه وتعالى، وطبعاً لا يخفى أن الله وَعَدَ بدون كلمة وَعَدَ، ومثاله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾، ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وأمثال ذلك.

وأريد أن أستعرض معك آية أخرى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: 53/ 31]، لماذا بدأ الله بقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ لكي تعلم ولكي تؤمن بأنه سبحانه هو المالك، هو المتصرف، هو القادر، كل شيء بيده، وكل شيء بأمره ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: 7/ 54]، هو الذي يعطي، هو الذي يكافئ، وهو الذي يمنع ويعاقب، فهل تؤمن يا عبد الله؟ هل في قلبك شك أو ريب في هذا؟ جوابك قطعاً سيكون: لا، لأن غير هذا الجواب يكون كفراً مخرجاً من الملة ويخلد صاحبه في النار والعياذ بالله.

إذاً فنحن لا نشك في هذا أن الله له ملك السموات والأرض، وبناء على هذا، فالمالك والمتصرف والقادر سبحانه سيجزي الذين أساؤوا بما عملوا وسيجزي الذين أحسنوا بالحسنى، وفق أوامره ووفق ما يرضيه، والحسنى هذه، هي التي وردت في الوعد في سورة النساء الآية (95) المذكورة آنفًا، والسؤال الآن: هل في أن الله سبحانه (سيعاقب أو سيجزي) شك أو ريبة؟ الجواب: قطعًا لا، لأنه هو سبحانه الذي قال، والذي وعد، والله سبحانه وتعالى لا يخلف وعده، فإذا أنت آمنت بأن الله هو المالك وأن الله هو المجازي، وأن الله أعطاك ليمتحنك، وأعطاك ليجازيك، وأعطاك ليرى مدى إيمانك ومدى اعترافك بفضله، ومدى توكلك عليه وثقتك به، ومدى تصديقك لوعده الذي قال فيه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: 34/ 39]، وهذا وعد من الله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: 30/ 6]، فهل تؤمن يا عبد الله؟ أم أنت من أكثرية الناس الذين لا يعلمون؟ قضية أساسية مفصلية يدور عليها محور الإيمان، تصديق أو لا تصديق، الرازق هو الله، المالك هو الله، العاطي هو الله، المجازي هو الله، الوعد من الله، والجزاء من الله، والقول من الله، والفعل من الله، والجنة جنة الله، والنار نار الله، والحكم لله، والأمر لله، فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لذلك كانت لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، تعدل لمن قالها رقبة من ولد إسماعيل، ويكتب له عشر حسنات وتحط عنه عشر سيئات وترفعه عشر درجات، وكان في حرز من الشيطان حتى يمسي إن قالها صباحًا، وفي حرز من الشيطان حتى يصبح إن قالها مساءً، هذا الحديث رواه أبو داود.

والسؤال الآن: لماذا كل هذا لهذه المقولة؟ لأنها أثبتت وركزت على أمور منها: 1 - (أن لا إله إلا الله) نفت خاصية الألوهية عن أي شيء وأثبتته لله تعالى،

2 – (وحده) أي لا شريك في أي صفة من صفاته، ولا يحتاج إلى أحد والكل محتاج إليه سبحانه، والكل معتمد عليه، والكل مصيره ورزقه وحياته بيده سبحانه، 3 – (لا شريك له) لا معين ولا ناصر ولا ولد ولا زوجة، لا شريك له في ملكه ولا في تصرفه، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: 17/ 111]، 4 – (له الملك) لا مالك غيره، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [فاطر: 35/ 44]، 5 – (له الحمد) لأنه سبحانه الخالق الرازق المحيي المميت الهادي الموفق المجازي، 6 – (وهو على كل شيء قدير) لأنه لا إله غيره ولا قادر غيره ولا مالك غيره سبحانه لذلك من آمن، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: 16/ 97].

فما الحياة الطيبة؟ 1 – الحياة الطيبة في الدنيا، 2 – الحياة الطيبة هي الرزق الحلال الوفير، الحياة الطيبة، هي السعادة وراحة البال والأمن والأمان، 4 – الحياة الطيبة، العافية والرضا في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة، لأن الله تعالى قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد: 47/ 2]، قوله وأصلح بالهم تعني كل ما جاء في الحياة الطيبة – والله أعلم – وهناك لفتة جميلة وهي قوله تعالى: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ جاءت في القرآن (14) مرة، بدأت بقوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: 2/ 38]، وانتهت بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [الأحقاف: 46/ 13].

والخلاصة التي تخرج بها وهي أن العقيدة الصحيحة والإيمان الصحيح يدفعان الإنسان المسلم للإنفاق، والإنفاق سمة للإنسان المسلم؛ لأنه مؤمن بأن ماله محفوظ، والله سوف يخلفه، والله هو الرزاق، والرزق قسمة من الله، وليس

لأني دكتور أو فهيم أو ذكي، الرزق فضل من الله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: 35/ 3] ... لا خالق ولا رازق إلا الله، فالمسلم يَعي هذا ويؤمن بهذا لذلك فهو ينفق، ولمّا سُئل شيخنا رحمه الله: كيف النجاة من عذاب القبر؟ قال: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: 35/ 29 – 30]، فتلاوة القرآن والصلاة والإنفاق، ورسول الله ﷺ قال: «إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور، وإنما يستظل المؤمن يوم القيامة في ظل صدقته» حم – صحيح الترغيب والترهيب، قال ﷺ: «يؤتى الرجل في قبره، فإذا أُتي من رأسه دفعته تلاوة القرآن، وإذا أُتي من قبل يديه دفعته الصدقة، وإذا أُتي من قبل رجليه دفعه مشيه إلى المساجد» صحيح الترهيب والترغيب، وقوله: «يؤتى الرجل في قبره» أي أتاه المَلَكُ ليعذبه.

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون: 23/ 99 – 100]، وسأل بعض أهل العلم في معنى ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ فقالوا: يفسر ذلك – والله أعلم – قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: 63/ 10]، وقال عليه الصلاة والسلام: «الصدقة تطفئ الخطايا كما يطفئ الماء النار» صحيح الجامع (2951). وسئل أحد القراء: ما هي أهم آية يجب على المؤمن ألا ينساها ويذكرها دائماً؟ فقال: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ [العلق: 96/ 8]، فإذا ذكرها دائماً فإنها تُقَوّم حياته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم